هذه الأمّة قدّمت للعلم أكثر من تلك أو أقلّ، وإن للغرب فضلاً على العلم لا يدانيه فضل الشرق. لذلك كان على الشرق أن يُقرّ بمنّة الغرب عليه وأن يدفع ثمنها استبعاداً وامتهاناً واستغلالاً.

لئن حقّ لنا أن نباهي بصرح شدناه للعلم فلا يحق لنا أن ندعوه ملجأ أو منارة. فهو، كما قلت، ما يزال بغير سقف. وبصيص النور الذي نلمحه فيه ما يزال أضعف من أن يخترق الدياجير من حوله. فهي من فوقه ومن تحته وعن جانبيه حالكةٌ، كثيفة، ساحقة.

نحن في دياجير من عالمنا الأرضي. فكيف بالعالم السماوي؟ ونحن من العالم الأرضي والسماوي في دياجير لأنّ الإنسان ما يزال من نفسه في ديجور. فكيف للديجور أن ينير الدياجير؟ كيف لمن لا يعرف مَن هو أن يعرف ما هو العالم من حوله؟ ولمن يجهل غايته من الوجود أن يدرك غاية الوجود؟

ألا ترون معي أنّ على الإنسان، قبل أن ينظر إلى نفسه وإلى الكائنات من حوله، أن يجلو بصره كيما يكون ما يبصره جليّاً؟ فالعين الرمداء تدور في عالم أرمد. والكفيفة في عالم كفيف. والعين التي عليها زجاجة ملونة تبصر عالماً